ورحل رمضان

فكيف حالنا مع القرآن ؟

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ..

مضى أسبوعان، خمسة عشر يوماً مضت بعد رحيل رمضان فتعالوا بنا يا كرام لنتساءل حقاً عن حال نفوسنا وقلوبنا بعد انقضاء هذه المدة الزمنية من شهر القلوب وصلاحها والنفوس وزكاتها ؟

معاشر المؤمنين ..

لم يمض على رحيل رمضان سوى ساعات معدودات فكيف حالنا بعد بكائنا، ودعائنا، واستغفارنا، وقيامنا، وصيامنا ؟

كنا قبل أيام في صلاة، وصيام، وتلاوة، وقيام، ودعاء، وبكاء، وصدقة، وإحسان، وعمرة، واعتكاف.

كنا نشعر برقة القلوب، ولذة الخلوة، وحلاوة المناجاة.

كانت تتلى علينا آيات القرآن فتخشع القلوب، وتدمع العيون فنزداد إيمانا وخشوعا لله رب العالمين.

ذقنا حلاوة الإيمان، وانسكبت العبرات وارتفعت الدعوات .

كنّا نصلي صلاة من جعلت قرة عينه في الصلاة ..

ونصوم صيام من ذاق حلاوة الصيام ..

وننفق نفقة من لا يخشى الفقر ..

كنا نطيل المكث في المسجد، تعلقت قلوبنا بالمساجد .

كنا نتقلب في أعمال الخير والبر؛ وهكذا مضت الليالي والأيام ورحل الحبيب رمضان ثم ماذا ؟

رحلت يا رمضان ولم يمض على رحيلك سوى ليالٍ وأيام وأخشى ما أخشاه أن النفوس تغيرت، والقلوب تبدلت، ونقض العبد العهد، وضاعت صلاة الفجر في الجماعة، وعاد المتهاون بالصلاة إلى تهاونه، والعاق لوالديه إلى عقوقه، وسامع الغناء والمجون إلى سماعه ومشاهدته .

أخشى ما أخشاه عباد الله أن الألسن تشوقت إلى ما كانت عليه من الغيبة، والنميمة، والفحش وبذئ الكلام.

رحلت يا شهر الصيام وأخشى ما أخشاه أن نسينا عبادة الصيام فلا الست من شوال ولا الاثنين والخميس ولا الثلاثة الأيام من كل شهر رحلت يا رمضان ولا أدري كيف حالنا مع القيام وصلاة الليل في جنح الظلام بل أخشى أن صلاة الوتر نسيت مع مضي الليالي والأيام يا الله!

أين ذلك الخشوع؟

أين ذلك القيام وتلك الدموع في السجود والركوع؟ أين التسبيح والاستغفار، والمحافظة على الأذكار؟

هل أصبح العيد مانعاً من المحافظة على الصلوات المكتوبة ؟

هل أصبح العيد بوابة لنقض العهد مع الله والجرأة على حرمات الله ؟

هل أصبحت صلاة الفجر في الجماعة في المواسم فقط ؟

هل أصبح العيد بوابة لفقد الحياء ، ونزع الحجاب، والكفر بنعم الله تعالى ، وهجر القرآن الكريم ؟

لنكن صرحاء بل يسأل كل واحد منّا نفسه كيف نحن بعد فراق شهر القرآن مع القرآن؟

لنكن صرحاء فلنتساءل حقا عن حالنا مع القرآن بعد فراق رمضان؟ ما هو وردنا مع القرآن؟

كم جزءًا قرأنا ؟ لا أقول كم ختمة؟

كم جزءًا قرأنا؟ بل كم صفحة قرأنا من كتاب الله تعالى؟

القرآن الذي قرأناه في رمضان قبل الفجر، وبعد الفجر، وقبل الظهر، وبعد الظهر، وقبل العصر، وبعد العصر، وفي الليل والنهار، وفي الذهاب والإياب، وقياما وقعودا، وعلى جنب فها هي ساعات معدودات قد مضت فقل لي بربك كم قرأنا من القرآن؟ أليس القرآن هو نور رمضان؟

أليس القرآن هو سر رمضان الأعظم؟

أليس النبي كان يتدارس القرآن مع جبريل في كل عام في شهر رمضان حتى تخلق بأخلاق القرآن وتأدب بآدابه ، وأحيا به ليله وبيته ، وزكى به فؤاده ، فكان إذا قرأه تدبر، ودعا، واستغفر وبكى وإذا قرئ عليه فاضت عيناه؛ بل كان إذا أوصى أوصى بالقرآن، وإذا وعظ وعظ بالقرآن، وإذا أمر أميرا قدم صاحب القرآن، وإذا أختار إماما فضل حامل القرآن، وإذا دفن أصحابه عند الموت قدم صاحب القرآن، وإن جاء راغب في الزواج زوجه بما معه من القرآن، وكان يوصي أصحابه بالقرآن والمداومة على قراءته فيقول «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...» رواه مسلم من حديث أبي أمامة .

ويقول : «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة 660 .

وتلقى أصحابه وصايا نبيهم وحبيبهم بالقبول والترحاب، وعاشوا مع القرآن في رمضان بل وفي كل حين وآن وفي كل زمان ومكان فكان لبيوتهم دويٌّ كدويّ النحل بالقرآن فعمروا به بيوتهم ، وأصلحوا به قلوبهم ؛ يخرج بعد ما أظلم الليل فيمر ببيوت الأنصار ؛ يوم كانت بيوتهم حية بكتاب الله فيمر ببيت أبي موسى الأشعري فينصت لأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فلما جاء اليوم التالي قال يا أبا موسى « لَوْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا » رواه مسلم .

وهذا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رحمه الله يقول : صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ " يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَإِذَا نَزَلَ قَامَ شِطْرَ اللَّيْلِ يُرَتِّلُ الْقُرْآنَ يَقْرَأُ حَرْفًا حَرْفًا وَيُكْثِرُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّشِيجِ، وَالنَّحِيبِ " وَيَقْرَأُ:

ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ شعب الإيمان (3/416) .

وهذا أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يقول: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ» رواه البخاري .

يا لله العجب كيف كان هذا الصحابي يقرأ القرآن ؟

كيف كان يعيش ويتلذذ مع آيات القرآن ؟

كيف كانت قراءته التي دنت الملائكة تستمع إليها ؟

كانوا يفهمون القرآن كما أنزل ويتدبرونه ويتلونه حق تلاوته .

ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽ ﭼ البقرة: ١٢١

وهذا تميم الداري يقوم ليلة بقوله تعالى ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الجاثية: ٢١

وكان ابن عمر يقول في قوله تعالى : ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ .

كَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا هَجْعَةً مِنْ أَوَّلِهِ. سير السلف الصالحين (1/168) .

صدق الحسن يرحمه الله يوم قال (والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته ) إحياء علوم الدين (1/285) .

فدعوة وعودة لهذا القرآن العظيم عودة بالقلوب بالأرواح والأفئدة ، فصلاح القلوب ، والبيوت ، والأولاد ، والأفراد والجماعات ، والدول لا يكون إلا بالقرآن .

القرآن هو الذي يزكي النفوس، ويصلح القلوب ويثبت على الطريق، ففي القرآن الروح والحياة، في القرآن النور والبرهان، والسكينة والطمأنينة، والأنس والرحمة، والشفاء والهدى ...

اللَّهُ فَصَّلَهُ وَأَحْكَمَ آيَهُ وَتَلاهُ تَنْزِيلاً بِلا أَلْحَانِ

هُوَ قَوْلُهُ وَكَلامُهُ وَخِطَابُهُ بِفَصَاحَةٍ وَبَلاغَةٍ وَبَيَانِ

هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ وَصِرَاطُهُ الهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ

جَمَعَ العُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا فِيهِ يَصُولُ العَالِمُ الرَّبَّانِي

قَصَصٌ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ قَصَّهُ رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ

وَأَبَانَ فِيهِ حَلالَهُ وَحَرَامَهُ وَنَهَى عَنِ الآثَامِ وَالعِصْيَانِ

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ...

الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد

عبد الله ......

القرآن لا يهجر بانتهاء رمضان بل حافظ على وردك وداوم على ختم القرآن في كل شهر مرة كحد أدنى، وتزود فإن خير الزاد التقوى ، ولنحرص على تربية أنفسنا وأولادنا ونسائنا على القرآن ، ولنجعل لبيوتنا وخلواتنا حظّاً من تلاوة القرآن فهو نور لصاحبه وحامله، ومن ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب .

فلنكن مع القرآن في حلنا وترحالنا ؛ لنحرك به قلوبنا ونحي به بيوتنا ...

وأهيب بالقرار المبارك الذي أصدره وزير التعليم المبارك بشأن كتاب الله تعالى المبارك ، بشأن إعطاء مديري التعليم، الصلاحيات لافتتاح فصول لتحفيظ القرآن الكريم بمدارس التعليم العام ، ولا يشك مسلم يحبّ الله ورسوله ، أن وجود القرآن في حياتنا ، وبيوتنا ، ومدارسنا هو سرّ هدايتنا ومصدر قوتنا

ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ الإسراء: ٩

اللهم نور بكتابك قلوبنا وبيوتنا وبصائرنا .اللهم أصلح قلوبنا وأعمالنا وأولادنا بالقرآن .